احترام المرأة

لفقيد العلم والادب المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

نعم إن الرجال قوامون على النساء كما يقول الله في كتابه العزيز ، ولكن المرأة عماد الرجل ، وملاك امره ، وسر حياته ، من صرخة الوضع ، إلى أنة النزع

لا يستطيع الاب أن يحمل بين جانحتيه لطفله الصغير عواطف الام ، فهي التي تحوطه بعنايتها ورعايتها ، وتبسط عليه جناح رحمتها ورأفتها ، وتسكب قلبها في قلبه حتى يستحيلا إلى قلب واحد ، يخفق خفوقاً واحداً ، ويشعر بشعور واحد ، وهي التي تسهر عليه ليلها ، وتكلؤه نهارها ، وتحتمل جميع آلام الحياة وأرزائها في سبيله ، غير شاكية ولا متبرمة بل تزداد شغفاً به ، وإيثاراً له ، وضناً بحياته ، بمقدار ما تبذل من الجهود في سبيل تربيته ، ولو شئت أن اقول لقلت إن سر الحياة الانسانية ، وينبوع وجودها ، وكوكبها الاعلى الذي تنبعث منه جميع أشعتها ، ينحصر في كلمة واحدة (قلب الام)

لا يستطيع الرجل أن يكون رجلا حتى يجد إلى جانبه زوجة تبعث في نفسه روح الشجاعة والهمة ، وتغرس في قلبه كبرياء النبعة وعظمتها ، وحسب المرء أن يعلم أنه سيد وأن له رعية كبيرة أو صغيرة تضع ثقتها فيه ، وتستظل بظل حمايته ورعايته ، وتعتمد في شؤون حياتها عليه ، حتى يشعر بحاجته إلى استكمال جميع صفات السيد ومزاياه في نفسه ، فلا يزال يعالج ذلك من نفسه ويأخذها به أخذاً حتى يتم له ما يريده ، وما نصح الرجل بالجد في عمله ، والاستقامة في شؤون حياته ، وسلوك الجادة المثلى في سيره ، ولا هداه إلى التدبير ورزاياه ، والاقتصاد وفوائده ، والسعي وثمراته ، ولا دفع به في طريق المغامرة والمخاطرة ، والدأب والمثابرة ، مثل دموع الزوجة المثلة ، يبدها الضارعة المبسوطة

ولا يستطيع الشيخ الفاني أن يجد في اخريات أيامه في قلب ولده الفتى من

الحنان والعطف ، والحب والايثار ، ما يجد في قلب ابنته الفتاة ؛ فهي التي تمنحه يدها عكازاً لشيخوخته ، وقلبها مستودعاً لاسراره ، وهواجس نفسه ، وهي التي تسهر بجانب سرير مرضه ليلها كله تتسمع أنفاسه ، وتصغي إلى أناته ، وتحرص الحرص كله على أن تفهم من حركات يديه ، ونظرات عينيه ، حاجاته وأغراضه ، فاذا نزل به قضاء الله كانت هي من دون ورثته جميعاً الوارثة الوحيدة التي تعد موته نكبة عظمى لا جهودها عليها ، ولا يخفف من لوعتها في نفسها ، أنه قد ترك من بعده ميراثاً عظيماً ، وكثيراً ما سمع السامعون في بيت الميت قبل أن يجف تراب قبره أصوات أولاده يتجادلون ويشتجرون في الساعة التي يجتمع فيها بناته ونساؤه في حجراتهن ناحات باكيات

وجملة القول أن الحياة مسرات وأحزان ، أما مسراتها فنحن مدينون بها للمرأة ، لأنها مصدرها ومنبوعها الذي تتدفق منه ، وأما أحزانها فالمرأة هي التي تتولى تحويلها إلى مسرات ، وأما ترويحها عن نفوس أصحابها على الاقل ، فكأننا مدينون للمرأة بحياتنا كلها

وأستطيع أن أقول وأنا على ثقة مما أقول إن الاطفال الذين استطاعوا في هذا العالم أن يعيشوا سعداء معنياً بهم وبتربيتهم وتخريجهم على أيدي أمهاتهم بعد موت آبائهم أضعاف الذين نالوا هذا الحظ على ايدي آبائهم بعد فقد أمهاتهم ، وللرحمة الالهية الفضل العظيم في ذلك

فليت شعري هل شكرنا للمرأة تلك النعمة التي أسدتها الينا وجازيناها بها خيراً ؟

لا — لا ، لاننا إن منحناها شيئاً من عواطف قلوبنا ، وخوالج نفوسنا ، فاننا لا نمنحها أكثر من عواطف الحب والود ، ونضن عليها كل الضن بعاطفة الاحترام والاجلال ، وهي إلى نهلة واحدة من نهلات الاجلال و الاعظام أحوج منها إلى شؤبوب متدفق من الحب والغرام

قد نحنو عليها ونرحمها ، ولكنها رحمة السيد بالعبد لا رحمة الصديق بالصديق ،

وقد نصفها بالعفة والطهارة ، ومعنى ذلك عندنا أنها عفة الخدر والخبء ، لا عفة النفس والضمير ، وقد نهتم بتعليمها وتخريجها ولكن لا باعتبار أنها انسان كامل لها الحق في الوصول الى ذروة الانسانية التي تريدها واغتنم بجميع صفاتها وخصائصها ، بل لتعهد اليها بوظيفة المربية أو الخادم أو الممرضة ، أي لتتخذ منها مهيأة لانفسنا وندعاً لسمرنا ، ومؤنساً لوحشتنا ، أي اننا ننظر اليها بالعين التي ننظر بها إلى حيواناتنا المنزلية المستأنسة ، لا نسدي اليها من النعم ، ولا نخلع عليها من الحلل ، إلا ما ينعكس منظره على مرآة نفوسنا فيملؤها غبطة وسروراً

انها لا تريد شيئاً من ذلك ، انها لا تريد أن تكون مربية الرجل ولا حظيته ، ولا أداة لهوه ولعبه ، بل صديقته وشريكة حياته

انها تفهم معنى الحياة كما يفهمها الرجل ، فيجب أن يكون حظها منها مثل حظه

انها لم تخلق من اجل الرجل ، بل من أجل نفسها ، فيجب أن يحترمها الرجل لذاتها لا لنفسه

يجب ان ينفّس عنها قليلاً من ضائقة سجنها لتفهم أن لها كياناً مستقلا ، وحياة ذاتية ، وانها مسئولة عن ذنوبها وآثامها أمام نفسها وضميرها ، لا أمام الرجل

يجب أن تعيش في جو الحرية الفسيح ، وتستروح رائحته الأريجة ، ليستيقظ ضميرها الذي أخمده السجن والاعتقال من رقدته ، ويتولى بنفسه محاسبتها على جميع أعمالها ، ومراقبة حركاتها وسكناتها ، فهو أعظم سلطاناً ، وأقوى يداً ، من جميع الوازعين والمسيطرين

يجب أن نحترمها لتعود احترام نفسها ! ومن احترم نفسه كان ابعد الناس عن الزلات والسقطات

لا يمكن أن تكون العبودية مصدراً للفضيلة ، ولا مدرسة لتربية النفوس على الاخلاق الفاضلة ، والصفات الكريمة إلا اذا صح أن يكون الظلام مصدراً للنور ،

والموت علة للحياة ، والعدم سلماً إلى الوجود

كما لا أريد أن تتخلع المرأة وتسفر ، وتهجم على وجوهها في مجتمعات الرجال وأنديتهم ، وتمزق حجاب الصيانة والعفة المسبل عليها ؛ كذلك لا أحب أن تكون جارية مستعبدة للرجل ، تملك عليها كل مادة من مواد حياتها ، ويأخذ عليها كل طريق حتى طريق النظر والتفكير

وبعد فما أن تكون المرأة مساوية للرجل في عقله وادراكه أو أقل منه فان كانت الاولى فليعاشرها معاشرة الصديق للصديق ، والنظير للنظير ، وان كانت الاخرى فليكن شأنه معها شأن المعلم مع تلميذه والوالد مع ولده ، أي انه يعلمها ويدربها ، ويأخذ بيدها حتى يرفعها إلى مستواه الذي هو فيه ، ليستطيع أن يجد منها الصديق الوفي ، والعشير الكريم ، والمعلم لا يستعبد تلميذه ولا يستذله ، والاب لا يحتقر ابنه ولا يزدريه

جديد من قديم

نابليون في جزيرة القديسة هيلانة

عند ما وصل نابليون برنابارت منفياً الى جزيرة القديسة هيلانة كان فيها قنصل الولايات المتحدة السير ولبم كاردل الذي كان أول من رأى الامبراطور عند نزوله إلى البر في ١٦ أكتوبر عام ١٨١٥ وحظي بالمثول بين يديه ومن هذا الحين أخذ القنصل يكتب مذكرات عن الاسير الثاني العظيم ونحن ناقلون اليوم لحضرات قراء الاغاني نبذة من تلك المذكرات للتاريخ والفكاهة قال القنصل :

عند ما نزل الامبراطور من السفينة تقدم إلى ربانها وأسداه جزيل الشكر وأثنى عليه ثناء جميلا وجعل يحدث الركاب ووجهه يطفح بشراً وسروراً ويشاطرهم الحديث عما قاسوه في تلك السفرة الشاقة التي دامت ٦٧ يوماً . قال الراوي وقد أثرت في ملامحه وجهه وعذوبة حديثه ولطفه المتناهي وهو في تلك الحالة المكدرة

وكان الامبراطور مرتدياً ملابسه الرسمية متشحاً ببرنس أخضر زاه ذي